المنهجية العلمية للتفسير التحليلي
عند العلَّامة نور الدين عتر

د. مرهف عبد الجبَّار سقا

جامعة المجمعة - المملكة العربية السعودية

ملخص

لم تقتصر ظاهرة التميز عند الأستاذ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله على الجانب الحديثي، بل في مجال التفسير أيضًا، ويظهر هذا التميز من خلال المنهجية الأكاديمية العلمية الدقيقة التي انتهجها الدكتور عتر في التفسير التحليلي، وأسلوب عرض المسائل العلمية ونقدها ومناقشتها، مع مراعاة المستوى العلمي للطلاب، وتسلسل إيصال المعلومات، وتوضيح المشكلات العلمية، وتحقيق المصطلحات الخاصة.

وهذا البحث يبين هذه المنهجية العلمية الأكاديمية ويقدم صورة نموذجية يمكن اتباعها في عرض التفسير التحليلي للطلاب في الجامعات؛ إذ يمكننا أن نعتبر دراسة المنهجية الأكاديمية للتفسير التحليلي في كتب الأستاذ الدكتور نور الدين دراسة تجربة رائدة متميِّزة في طريقة التأليف في التفسير التحليلي.

الكلمات المفتاحية: نور الدين العتر، التفسير التحليلي، المنهجية العلمية، المنهج الأكاديمي.

Prof. Dr. Nureddin Itir'ın Tahlilî Tefsir'deki İlmi Metodolojisi

Dr. Murhaf Abdulcebbâr Sakkâ

Özet

Nureddin Itir'ın ihtisası hadis alanıyla sınırlı olmayıp kendisi tefsirde de öne çıkmış bir isimdir. Onun bu özelliği tahlilî tefsirde takip ettiği ilmî metodolojide, öğrencilerin seviyesini gözeterek ilmî meseleleri ele alışı, onları eleştiriye tabi tutup tartışmasında, sürekli bilgi aktarımında bulunmasında, ilmî meseleleri açıklamasında ortaya çıkmaktadır. Bu ilmî ve akademik metodoloji çerçevesinde bu çalışma, üniversite öğrencilerine tahlilî tefsirin nasıl öğretilmesi gerektiğine yönelik bir örnek sunmaktadır. Nitekim Nureddin Itir'ın eserlerinde onun tahlilî tefsir yöntemini ele almak, tahlilî tefsir yazımında seçkin ve alanında öncü bir tecrübenin incelenmesi olarak değerlendirilebilir.

Anahtar Kelimeler: Nureddin Itir, tahlilî tefsir, bilimsel metot, akademik yöntem.

Academic Scientific Methodology for analytical interpretation by the scholar, the interpreter,(Almufsir) Dr. Nour el-ddine Attar

Dr. Morhaf Abduljabbar Sakka

Abstract

The phenomenon of excellence was not limited to Professor Dr. Nour el-ddine Attar, may God rest his soul in the modern side, but also in the field of interpretation, and this distinction is shown through the accurate academic scientific methodology adopted by Dr. Nour el-ddine Attar in the analytical interpretation, and the method of presenting scientific issues and criticizing them and discussing them taking into account the scientific level of students and the sequence of delivery of information and clarification of scientific problems and the realization of special terms.

This research shows this academic scientific methodology and provides a typical picture that can be followed in presenting the analytical interpretation of students in universities, as we can consider the study of the academic methodology of analytical interpretation in the books of Professor Dr. Nour el-ddine Rahmatallah to study a pioneering experience distinguished in the method of authorship in analytical interpretation.

Keywords: Dr. Nour el-ddine Attar, Analytical Interpretation, Scientific Methodoloɵ gy, Academic, Curriculum.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إنَّ المتتبِّع للعقليَّة العلميَّة لشيخنا الدكتور نور الدين عتر -رحمه الله وأعلى مقامه- يجد أنَّها كانت متميِّزة بالدِّقَّة العالية والترتيب والإبداع، وقد انعكست هذه العقلية العلمية المحكَمة على حياته العلمية أيضًا، فقد كان في مراحل التدرُّج العلمي دائمًا في تميُّز في مراتب أولى؛ بل إنَّه وصل إلى التميُّز المبكِّر في الحصول على درجة الدكتوراه وهو في السابعة والعشرين من عمره مع الثناء الكبير من المشرفين والمناقشين لها على رسالته، ثمَّ غدت رسالته مرجعًا علميًّا معتمدًا في الموازنة حتَّى وقتنا الحالي.

كما أنَّ تميُّزه ودقَّته وتوسُّع اطِّلاعه جعل كتابه في مصطلح الحديث (منهج النقد) أحد محطَّات تطوُّر الكتابة في مصطلح الحديث من حيث التأليف والتحرير والأمثلة، وهكذا نجده في باقي مؤلَّفاته.

ولكنَّ هذا الإبداع لم يكن في مصطلح الحديث فقط؛ بل كان ظاهرة في معظم مؤلَّفاته التعليمية، ولئن اهتمَّ الباحثون في إظهار مكانته العلمية في علم الحديث فإنَّ الكتابة حول منهج شيخنا العلَّامة الدكتور نور الدين عتر في التفسير ما زالت قليلة؛ بل تكاد تكون معدومة، علمًا أنَّ تميُّزه بالتفسير لا يقلُّ عن تميُّزه في الحديث.

ولذلك كان من المهمِّ جدًّا تسليط الضوء على جانب من جوانب التميُّز العلمي والأكاديمي في المنهج التفسيري لدى العلَّامة الراحل، شيخنا الدكتور نور الدين عتر، وقد اخترت جانب التفسير التحليلي في كتبه التي ألَّفها في آيات الأحكام وتفسير سورة النساء لعدَّة أسباب:

أحدها: أنَّ هذه المؤلَّفات كانت مقرَّرة لطلَّاب الكلِّيَّات العلمية الشرعية والدراسات العليا، وفي مستويات متعدِّدة، وكانت المعلومة في كلِّ مستوى تختلف في الدِّقَّة والصياغة عن سابقتها.

الثاني: أنَّ شيخنا العلَّامة رحمه الله لم يجعل مؤلَّفاته مختصرة ولا مطوَّلة، بل كانت متوسِّطة التأليف عادة، مستوعِبة الجوانب، ممَّا يدلُّ على أنَّ شيخنا لم يقصد طلَّاب الكلِّيَّات فقط، بل أراد من مؤلَّفاته أن تكون مرجعًا علميًّا لكلِّ من أراد الاطِّلاع والتعلُّم من باقي المستويات العلمية.

الثالث: ما زالت طريقة الكتابة المنهجية الأكاديمية في التفسير التحليلي محلَّ اضطراب في المنهجة وفي نوعيَّة المقرَّرات العلمية التي توضع لطلَّاب الكلِّيَّات العلمية الشرعية في الجامعات؛ إذ بعضها يقرِّر تفسير ابن كثير، وبعضها يقرِّر تفسير مقاصد القرآن، وبعضها يقرِّر مذكَّرة مختصرة تعنى بالمفردات والاستنباطات والمرور سريعًا على القراءات والإعراب، وبعض المقرَّرات تورد المعلومات دون تدقيق في ماهيَّتها والتوافق بينها، وهذا يعود إلى عدم وضوح مفهوم التفسير التحليلي لدى كثير ممَّن ألَّف في هذا الأسلوب الدقيق.

ويمكننا أن نعتبر أنَّ دراسة المنهجيَّة الأكاديمية للتفسير التحليلي في كتب شيخنا رحمه الله هي دراسة تجربة رائدة متميِّزة في طريقة التأليف في التفسير التحليلي.

مشكلة البحث

ما المنهجية العلمية الأكاديمية التي تميَّزت بها مؤلَّفات الدكتور نور الدين عتر رحمه الله؟

ما معالم منهج التفسير في مؤلَّفات الدكتور نور الدين عتر المحدَّدة؟

أهداف البحث

بيان المنهجية الأكاديمية لمؤلَّفات الدكتور نور الدين عتر في التفسير.

إظهار معالم منهج التفسير عند الدكتور نور الدين عتر رحمه الله.

حدود البحث

ستقتصر الدراسة هنا على كتبه الآتية:

تفسير سورة النساء المؤلَّف لطلَّاب الدراسات العليا، تفسير آيات الأحكام من سورة الفاتحة والبقرة، تفسير آيات الأحكام من سورة آل عمران إلى النساء.

الدراسات السابقة

ثمَّة أبحاث في التفسير التحليلي، ولكن فيما يتعلَّق بمنهجية العلَّامة الدكتور نور الدين عتر لم يقع بين يديَّ فيما اطَّلعت عليه أن تعرَّض لهذا الموضوع أحد، ولعلَّه أوَّل بحث في هذا الاتِّجاه، والله أعلم.

منهج البحث وإجراءاته

المنهج المتَّبع في البحث هو المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

أمَّا إجراءات البحث فهي:

١ – كتابة الآيات بما يتَّفق مع رسم المصحف معزوَّة إلى سورتها برقمها.

٢ – تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مظانِّها في الكتب الستَّة أوَّلًا، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بوروده فيهما عن بيان حكمه، وإن كان في غيرهما ذكرت حكم المحدثين عليه.

٣ – عدم ترجمة الأعلام الواردة في البحث تجنُّبًا للإطالة.

٤ –بيان منهج الدكتور نور الدين رحمه الله في تأليف التفسير التحليلي بذكر النماذج من كتبه السابقة، مع توضيح الفوائد العلمية والأكاديمية المستفادة.

خطَّة البحث

المقدِّمة وقد تقدَّمت، وفيها: أهمِّيَّة الموضوع ومشكلة البحث وأهدافه والدراسات السابقة وحدوده وإجراءاته.

المبحث الأوَّل: الدكتور نور الدين عتر، ومؤلَّفاته في التفسير.

المطلب الأوَّل: لمحة مختصرة عن العلَّامة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله.

المطلب الثاني: مؤلَّفات الدكتور نور الدين عتر في التفسير.

المبحث الثاني: المنهجية العلمية والأكاديمية لتفسير الدكتور نور الدين عتر.

المطلب الأوَّل: المنهجية العلمية والأكاديمية العامَّة لمؤلَّفات الدكتور في التفسير التحليلي.

المطلب الثاني: المنهجية العلمية والأكاديمية التفصيلية لمؤلَّفات الدكتور في التفسير التحليلي.

الخاتمة: النتائج والتوصيات

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن أكون قد أدَّيت جزءًا من الوفاء لشيخنا العلَّامة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله.

المبحث الأوَّل: الدكتور نور الدين عتر، ومؤلَّفاته في التفسير

المطلب الأوَّل: لمحة مختصرة عن العلَّامة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله[1]

هو العلَّامة المحدِّث المفسِّر الفقيه المحقِّق المدقِّق البارع المربِّي، ومن أحقِّ من يُطلق عليه لقب الإمام في عصره الشيخ الأستاذ الدكتور نور الدين محمَّد حسن عتر الحسني الحلبي.

وُلد في مدينة حلب عام ١٣٥٦هـ، الموافق ١٩٣٧م، في أسرة متأصِّلة بالصلاح والعلم، وكان والده من أهل العلم والتقى والتربية، وملازمًا للعلَّامة الشيخ محمَّد نجيب سراج الدين رحمه الله، وكان من أثر هذا الصلاح والملازمة أن نذر ولده نور الدين ليكون في درب طلب العلم الشرعي، فأدخله المعهد الشرعي الخسروية في حلب، وتميَّز نور الدين فيه بالتفوُّق والذكاء والسبق العلمي مع التقوى، فتخرَّج في الخسرويَّة عام ١٩٥٤ بمرتبة الدرجة الأولى، ثمَّ التحق مباشرة بعدها بالأزهر في مصر، وحصل على الليسانس في الشريعة مع التفوُّق بالمرتبة الأولى على دفعته عام ١٩٥٨، وقد استثمر شيخنا في الأزهر وقته في الجلوس بين يدي علماء الأزهر، وكان لذكائه وتفوُّقه محلَّ نظر شيوخه وأساتذته، ومن أهمِّ شيوخه في مصر الشيخ مصطفى مجاهد، والشيخ محمَّد محمَّد السماحي، والشيخ عبد الوهَّاب البحيري، والشيخ محمَّد محيي الدين عبد الحميد، رحمهم الله، وهذه الأسماء من أعلام الدنيا في العلم والعمل.

ثمَّ أكمل النور يشقُّ طريقه حتَّى أنهى الدراسات العليا وحاز على العالمية (الدكتوراه) من شعبة التفسير والحديث من الأزهر الشريف برتبة ممتاز مع رتبة

---

١ انظر في ترجمته: ثبت أسانيد العلَّامة المحدِّث الدكتور نور الدين عتر، عمر موفق النشوقاتي، محمَّد عيد منصور، ١١- ١٧، والمواقع الآتي:
موقع نسيم الشام على الرابط: https://naseemalsham.com/persons/sh_nour_ater
موقع رابطة العلماء السوريين: https://islamsyria.com/site/show_cvs/1389
وبحث: شذا العطر في ذكر مواقف مع شيخنا الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، مرهف سقا على الرابط:
https://islamsyria.com/site/show_cvs/1412

الشرف عام ١٩٦٤م.

ثمَّ قام بالتدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة المنوَّرة لعامين جامعيين في ستينيات القرن الماضي، ثمَّ توجَّه للتدريس في كلِّيَّة الشريعة بجامعة دمشق عام ١٩٦٧م، كذلك درَّس في شعبة الدراسات العليا في جامعة أم درمان، وترقَّى إلى درجة أستاذ في القرآن والسنَّة عام ١٩٧٩م، ثمَّ شغل منصب رئيس قسم القرآن والسنَّة فيها إلى وفاته رحمه الله، وشغل فيها منصب رئيس شعبة التفسير وعلوم القرآن، والسنَّة وعلومها في الدراسات العليا، وحاز على جوائز للدراسات الحديثية من المنظمة العربية للثقافة والآداب والعلوم في جامعة الدول العربية.

زار كثيرًا من الجامعات محاضرًا على الدراسات العليا ومناقشًا، مثل جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض، وجامعة أمِّ القرى، وجامعة الكويت، وغيرها، شارك في العديد من المؤتمرات والندوات، زار الإمارات العربية والكويت والسعودية والجزائر والأردن ولبنان وغيرها، كما كانت له حلقات إذاعية وتلفزيونية.

كما كان الشيخ رحمه الله خبيرًا علميًّا لتقويم المناهج التعليمية في كلِّيَّات الشريعة (البكالوريوس والليسانس)، والدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في تخصُّصات التفسير والحديث النبوي.

كما كان محكِّمًا معتمَدًا لدى العديد من الجامعات والمؤسَّسات العلمية، سواء للأبحاث والمؤلَّفات العلمية المحكَّمة أو للترقيات، أو لتقويم البحوث العلمية.

كلُّ هذه الأعباء العلمية والأكاديمية لم تمنعه من الإشرافِ على رسائل الماجستير والدكتوراه التي ناهزت ستِّين رسالة ماجستير، وخمسًا وعشرين أطروحة دكتوراه، وعلى تحكيمِ العشرات من الأبحاث العلمية والترقيات.

ولم تقف خدمات شيخنا رحمه الله على الجانب الأكاديمي والتخصُّصي، بل كانت له نشاطات في خدمة الكتاب والسنَّة في المجتمع، فقد أشرف على برنامج تحفيظ السنَّة سندًا ومتنًا، وتخرَّج على يديه وبأسانيده عشرات الحفَّاظ من طلَّاب العلم وطالبات العلم، حفظوا الكتب الستَّة وموطَّأ الإمام مالك، وبعضهم حفظ

البخاري والموطَّأ، إضافة لخطب الجمعة ولدروسه العلمية في التفسير ومجالس الحديث في مساجد حلب ودمشق، التي لم ينقطع عنها إلَّا لظرف قاهر من مرض أو نحوه حتَّى وفاته رحمه الله.

أضف لذلك كلِّه الدروس العلمية الخاصَّة التي كانت منتظمة في بيته لأساتذة كلِّيَّة الطِّبِّ والهندسة وغيرهما وفق منهجية معيَّنة، كان يقيمها في بيته بحلب رحمه الله، وتخرَّج في معهده العلمي البيتي عديد من الأساتذة، اعتنى ببناء الأسس العلمية الشرعية وتمكين الثقافة الإسلامية في نفوسهم.

ومن أهمِّ خصائص الشيخ رحمه الله: المحافظة على الوقت، فلا وقت للمناسبات غير العلمية في حياته، مع صرامة ودقَّة شديدة، ونادرًا ما يحضر مناسبة وإن حضرها فلسبب شرعي.

ومن خصائصه المحافظة على المواعيد، والتشديد على ذلك، وقد يردُّ أبحاث بعض الطلَّاب لتأخُّرهم عن تسليمها يومًا واحدًا، وكنَّا نسمعه كثيرًا يتأسَّف على تهاون بعضهم في صدق مواعيده.

ومن خصائصه رحمه الله تعلُّقه بسيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم حالًا وسلوكًا، أمَّا حاله فلا يستطيع أن يخفيها، فكانت دموعه تفضحه رحمه الله رغم غصَّاته التي كانت تنتابه لأجل إخفاء هيامه، ولو سألت أيَّ طالب علم جلس بين يدي شيخنا لذَكَر من ذلك المواقف الكثيرة.

أمَّا سلوكه فكان دقيقَ الالتزام بسنَّة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، سواء في العبادات أو في التعاملات، حتَّى أنِّي رأيته إذا فاتته سنَّة راتبة قضاها ولم يتركها.

لقد تميَّز شيخنا رحمه الله بالتكامل الصادق بين التربية والتعليم، فكان يحرص على المنهجية التربوية لطالب العلم كما يحرص على المنهجية العلمية.

المطلب الثاني: مؤلَّفات الدكتور نور الدين عتر في التفسير

اشتُهر العلَّامة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله بمؤلَّفاته الحديثية؛ بل إنَّه معدود في سلك الأكابر المحادثين الذين سجَّلوا نقلةً نوعيَّةً في تطوُّر التأليف بمصطلح الحديث، وإنّ عناية العلَّامة الدكتور بالتفسير وعلوم القرآن لها نصيب وافر في مؤلَّفاته، فكيف لا وهي قسيم حياته العلمية؛ إذ لا يخفى على القارئ مدى ارتباط التفسير وعلوم القرآن بالسنَّة النبويَّة.

وقد تتبَّعت المؤلَّفات التي كتبها في التفسير وعلوم القرآن، وجمعتها ممَّا كان يذكره رحمه الله في نهاية مؤلَّفاته فكانت:[1]

١- أحكام القرآن في سورة البقرة، مطبوعات دمشق.

٢- أحكام القرآن في سورة النساء، (محاضرات الدراسات العليا في التفسير التحليلي).

٣- آيات الأحكام، تفسير واستنباط، مطبوعات دمشق عام ١٩٩٩م، وهو مقرَّر على السنة الثالثة لطلَّاب كلِّيَّة الشريعة.

٤- تفسير سورة الفاتحة في ضوء السنَّة النبوية وعلوم البلاغة واللغة العربية، طُبع في دار البشائر عام ١٩٩٤م.

٥- التفسير وعلوم القرآن وقد صدر منه طبعتان.

٦- التفسير: أحكام القرآن الكريم، طُبع في دار الإنشاء ابتداءً من عام ١٩٨٢م، وهو مقرَّر السنة الرابعة.

٧- جمع القرآن الكريم وتوثيقه في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، (بحث علمي منشور في قطر)، ثمَّ طُبع في دار الغوثاني، ٢٠١١م.

---

١ اعتمدت على ما ذكره الشيخ رحمه الله في نهاية آخر طبعاته من مؤلَّفاته، انظر: علوم القرآن الكريم، ٣٠٣-٣٠٤، أحكام القرآن في سورة النساء، ٣١٠- ٣١٢، إعلام الأنام شرح بلوغ المرام، ٤/ ٦٤٩ – ٦٥١، إضافة إلى ما هو مذكور في ثبت العلَّامة المحدِّث الدكتور نور الدين عتر، ١٨-١٩.

٨- علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن وكشف إعجازه، (بحث علمي منشور في دبي)، ثمَّ طُبع في دار الغوثاني، ٢٠١١م.

٩- علوم القرآن الكريم، وقد طُبع أكثر من عشرين طبعة.

١٠- في تفسير القرآن الكريم وأسلوبه المعجز علميًّا وبيانيًّا، وقد طُبع إحدى عشرة طبعة.

١١- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، وقد صدر منه الطبعة الرابعة.

١٢- كيف تتوجَّه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها، طبعُ دارِ الرؤية بدمشق، ٢٠٠١م.

١٣- كيف تتوجَّه إلى القرآن الكريم، وهو ملخَّص الكتاب السابق، ولكن بأسلوب مقرَّب للمعاهد الشرعية، وطُبع عام ٢٠٠٢م

١٤- من إبداع القرآن الكريم، طُبع في دار الغوثاني، عام ١٤٣٤هـ

ولمَّا كانت الدراسة ستقتصر على مؤلَّفاته التفسيرية الأكاديمية (مقرَّر السنة الثالثة، مقرَّر السنة الرابعة، مقرَّر الدراسات العليا)، كما سبق في حدود البحث، فإني سأقتصر في التعريف العامِّ بهذه المؤلَّفات.

المبحث الثاني: المنهجية العلمية والأكاديمية لتفسير الدكتور نور الدين عتر

المطلب الأوَّل: المنهجية العلمية الأكاديمية العامَّة لمؤلَّفات الدكتور في التفسير التحليلي

أمَّا الكتاب الأوَّل فهو (آيات الأحكام، تفسير واستنباط)، وهو من مقرَّرات السنة الثالثة لكلِّيَّة الشريعة بدمشق، واشتمل الكتاب على المفردات الآتية:

أوَّلًا: مدخَل إلى تفسير آيات الأحكام.

ثانيًا: تفسير آيات الأحكام من السور الآتية:

أ- من سورة النساء

ب- من سورة المائدة

ت- من سورة الأنعام

ث- من سورة الأعراف

ضمَّ الكتاب بين دفَّتيه ٥٤٠ صفحة مشتملة على فهارسه، وإنَّ هذا الكمَّ الكبير من الصفحات يدلُّك على الجهد المبذول فيه؛ إذ هو ليس على تبعيَّة الاختصار تيسيرًا على الطلَّاب؛ بل هو على الجادَّة المتَّبعة في تكوين الملكة العلمية لطالب العلم، عدا مشتملات الكتاب من الميِّزات والخصائص في المنهجية العلمية الدقيقة، سواء في الترتيب الأكاديمي أو في السرد التفسيري.

وهذا ما أبانه الدكتور الإمام في مقدِّمة كتابه؛ إذ قال: «وقد راعينا في إعداد الكتاب طريقة تعلُّم قارئه كيفيَّة التفسير ومنهجه، باتِّباع الخطَّة التي بيَّنها علماء أصول التفسير، ومراعاة الأولويَّات في ترتيب فقرات التفسير التي اختلَّت في كتب معاصرة لتفسير آيات الأحكام... كذلك راعينا في بيان المعنى أو الحكم التنبيه على القاعدة التي استُخدمت في تفسير المعنى، أو استخراج الحكم أو الفائدة، وفي اختلاف أئمَّة العلم أخذنا بالتثبُّت من نسبة الحكم إلى المذهب الذي يُنسب الحكم إليه... كما بيَّنا الأصول التي يعتمد عليها كلُّ مذهب؛ وكيف فسَّر الآية حتَّى تمَّ له استخراج الحكم من الآية...».[١]

ثمَّ يشدِّد الشيخ رحمه الله على العناية بالتكامل والربط بين جانبي التفسير والأحكام؛ لبناء الملكة العلمية، وترسيخ فوائد التفسير، مع استنباط الفقه من القرآن، فيذكر أهمَّ ميِّزات كتابه، وهي:

١ – اتِّباع خطَّة التفسير التي تحدَّث عنها العلماء، ومراعاة الأولويَّات في ترتيب

١ آيات الأحكام، ٦.

المعلومات بتقديم المناسبة، فأسباب النزول، ثمَّ الدراسات اللغوية، والقراءات، ثمَّ شرح المعنى والاستنباط.

٢ – دقَّة توزيع المعلومات على الفقرات التي توضع فيها، وهو أمر ينبغي على القارئ الانتباه له.

٣ – تنسيق المعلومات الواردة في الفقرات مع بعضها، بحيث ينسجم ما نختاره في المناسبة وأسباب النزول والمفردات والقراءات والإعراب مع تفسير المعنى ثمَّ مع الاستنباط، وأوصي طالب علم التفسير أن ينتبه لهذا العنصر في قراءته كتب التفسير، لا سيَّما المعاصرة، فإنَّه مهمٌّ جدًّا.

٤ – الكلام على الشطر المأثور في أسباب النزول والتفسير صحَّة وضعفًا، جرحًا وتعديلًا.

٥ – التأكُّد من نسبة الأحكام إلى المذاهب التي تعزى إليها، وهو أمرٌ مهمٌّ؛ لئلَّا يقع دارس الكتاب في الخطأ في الفتوى أو العمل...

٦ – لعلَّ قارئ هذا الكتاب إذا راجع المصادر يتبيَّن له في هذا الكتاب حسن الإفادة من معلوماتها، وحسن توجيهها وتطبيق الأصول العلمية في تعليقات لنا سريعة أحيانًا.[١]

وقد أبان الشيخ رحمه الله عن طريقته في البحث التفسيري في كتاب السنة الرابعة (أحكام القرآن)، فقال: «وقد قسمنا الأبواب إلى مجموعات، كلُّ مجموعة منها تبحث عن غرض مشترك وموضوع واحد، ورتَّبنا البحث في التفسير على الوجه التالي:

١ – بيان غرض السورة أو الآيات بصفة عامَّة ومناسبتها ما قبلها.

٢ – أسباب النزول مع تمحيصها؛ لأنَّ معرفة أسباب النزول لا غنى عنها في معرفة معنى الآية.

١ آيات الأحكام، ٧.

٣ – الأبحاث اللغوية، بما لا يخرج عن مقتضى فنِّ التفسير.

٤ – عرض المعنى المستفاد من الدراسة السابقة، مع بيان خصائص أسلوب الآيات المفسَّرة وأسرار الإعجاز فيها.

٥ – الاعتناء في ذلك بتفسير القرآن بالقرآن، وبالحديث، ثمَّ بالاجتهاد، مع مراعاة تطبيق أصول التفسير وقواعده، والاحتكام إليها في مواقف الخلاف أو الاحتمال.

٦ – استنباط الفوائد والأحكام، وبيان مواقف العلماء منها، ودليل كلٍّ منهم، مراعين في ذلك تطبيق أصول الفقه، وعدم الدخول في التفاصيل التي هي من شأن الفقه.

٧ – بيان الأبحاث العلمية التي تتعلَّق بالآية».[١]

وقد التزم الشيخ رحمه الله هذه المنهجية الدقيقة في التفسير التحليلي بتحليل أعمق في الدراسات العليا، مع مراعاة الفروق الفردية بين المستوى الجامعي ومستوى الدراسات العليا، وفي ذلك يقول رحمه الله في تفسير سورة النساء: «وقد راعينا في هذه الدراسة الخطَّة التي رسمناها لأنفسنا في دراسة التفسير عامَّة، وآيات الأحكام خاصَّة، وأضفنا إلى ذلك مزيد إنعام النظر والتحقيق في مواضع الخلاف، حتَّى يكون فيها نموذج تعليم لطلبة العلم في الدراسات العليا، وتذكرة لأهل العلم المتمكِّنين».[٢]

ولمَّا كانت الإستراتيجية العلمية لدى شيخنا رحمه الله بعيدة المدى؛ لأنَّها قامت على مبدأين مهمَّين هما: المحافظة على الأصول العلمية لدراسة التفسير، وهو ما يعرف بأصول التفسير، والثانية: تأسيس الملكة التفسيرية لدى طلاب الدراسات العليا وتنميتها؛ فإنَّ عناية الشيخ بمنهجية دراسة التفسير التحليلي كانت عناية فائقة؛ لأنَّ هذا الأسلوب في التفسير يُعَدُّ من الأساليب الأساسية في بيان القرآن، وهي

١ أحكام القرآن للسنة الرابعة، د، ه.

٢ أحكام القرآن في سورة النساء، ٢.

من أقدم الأساليب وأعمقها، وفي ذلك يقول شيخنا رحمه الله: «وإنَّ ممَّا يجب الاعتناء به: بحث ما يواجه الغائص في مصادر التفسير بالمأثور من اختلاف الأنواع أو تنوُّعها، ثمَّ حلُّ ما يلقاه في مصادر التفسير بالرأي الجائز من اختلاف وجهاتها، وسبيل ذلك التزام أصول التفسير، والتمكُّن من الفنون التي يحتاجها المفسِّر، والنظر إلى مقصود الآية وصلته بالهدف العامِّ الذي جاءت لأجله الفقرة التي فيها الآية، ثمَّ مراعاة التناسق بين فقرات تفسير الآية، وتآلف بعضها مع بعض».[1]

أمَّا إذا انتقلنا إلى الكتاب الذي ألَّفه الشيخ العلَّامة رحمه الله للسنة الرابعة، فإنَّنا سنجد عنوانه يختلف عن سابقه اختلافًا مقصودًا؛ إذ جعل اسمه: «التفسير، أحكام القرآن»، ومع أن هذا العنوان «أحكام القرآن» قد ألَّف المفسِّرون فيه كتبًا تحمل الاسم نفسه، كأحكام القرآن للإمام أبي بكر الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، وأحكام القرآن لأبي الحسن الطبري المشهور بالكيّا الهراسي (ت ٥٠٤هـ)، إلَّا أنَّ المقصود بهذا العنوان الذي انتهجه الشيخ رحمه الله كان أوسع ممَّا سبقه، فقد أراد به الأحكام التي ذكرها القرآن في الفقه والأعمال والسلوكيَّات والأمم، وكان هذا بإشراف كلِّيَّة الشريعة بدمشق، وقد أبان هو عن ذلك؛ إذ قال: «وقد رأت كلِّيَّة الشريعة في وضع منهاج السنة الرابعة للتفسير أن توسِّع المقصود من كلمة «أحكام القرآن»؛ ليشمل أحكامًا غيرَ أحكام الفقه، مثل أحكامه على بعض المجتمعات للتحذير منها، أو من بعض صفاتها لخبثها، أو أحكامه على الأعمال والتصرُّفات ممَّا لا يدخل في بحث الفقه، وذلك بالإضافة إلى آيات أحكام الفقه».[2]

وبهذا نعلم أنَّ الشيخ رحمه الله تبنَّى فكرة توسيع معنى أحكام القرآن إلى معنًى أوسع ممَّا درج عليه السابقون، اعتبارًا بالمعنى الإضافي لمصطلح «أحكام القرآن»، ويظهر بذلك توسيع مفهوم الأحكام ليدخل فيه ما أورده القرآن من نهايات الأمم في القصص القرآني؛ لتكون هذه القصص مصدرًا من مصادر الأحكام، ولكن ليس المراد بالحكم هنا الحكم التكليفي على الخصوص؛ وإنَّما حكم الله عمومًا، إذ إنَّ

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١، ٢.

٢ أحكام القرآن للسنة الرابعة، د.

حكم الله على مجتمع -أي قضاؤه- بالخسران أو بالهلاك ما هو إلَّا أثر من آثار مخالفة سلوك هذا المجتمع لشرع الله وأصول التكليف، ولعلَّ هذا سرُّ الاختلاف في عنوان كتاب السنة الثالثة «آيات الأحكام، تفسير واستنباط» وكتاب السنة الرابعة: «أحكام القرآن»؛ إذ العنوان الأوَّل مبنيٌّ على معنى الحكم الشرعي المقتضي للفعل والترك، وهما ركنا التشريع المتفرِّع عنهما الواجب والمحرَّم والمندوب والمكروه والإباحة، أمَّا الثاني فهو قضاء القرآن الشرعي والكوني.

وقد احتوى مقرَّر السنة الرابعة (أحكام القرآن) على أربعة أبواب:

الباب الأوَّل: تفسير سورة الفاتحة من تفسير الطبري، مع التعليق عليه بإيضاح العبارة واستكمال الفوائد.

الباب الثاني: أحكام القرآن في سورة البقرة، وقد احتوى هذا الباب:

الآيات التي تكشف عن طبيعة بني إسرائيل، ومواقفهم من الأنبياء والشرائع ومكرهم، والتأكيد على مكانة المؤمنين في الدنيا والآخرة.

والآيات التي تبيِّن واجب الأمَّة نحو الناس جميعًا ومسؤوليَّتها في إحقاق الحقِّ ودفع الظلم وإقامة العدل ..إلخ.

والآيات التي تبيِّن أهمِّيَّة القصاص في الإسلام وأثره البعيد في منع وقوع الجرائم، وأهمِّيَّة شهر رمضان ومكانته، مع بيان أسباب نزول بعض الآيات ومناسباتها.

والآيات التي فيها بيان جانب من أحكام الجهاد وقتال الأعداء وحكمه في الشهر الحرام والبلد الحرام.

وبيان آيات الحجِّ في سورة البقرة، وآيات السحر والتحذير من مكائد الأعداء، وآيات المداينة وأواخر سورة البقرة.

الباب الثالث: أحكام القرآن في سورة آل عمران.

الباب الرابع: تفسير سورة الأنفال.

أمَّا كتابه (أحكام القرآن) في سورة النساء؛ فإنَّه اقتصر فيه على تفسير مقاطع من آيات الأحكام، تماشيًا مع مفردات المقرَّر للدراسات العليا، وهذا ما أوضحه رحمه الله في مقدِّمة تفسيره لسورة النساء؛ إذ قال: «وقد أخذت في تحضير بحوث مكتوبة ممَّا ألقيه على طلاب الدراسات العليا، تقدّم نموذج دراسة محقَّقة، وتستوفي فيها جوانب التفسير، ويراعى فيها عنصر التحقيق والتدقيق في تفسير المعاني وأسرار المباني واستنباط الأحكام وغرر الفوائد المستنبطة من المثاني».[1]

وقد أولى رحمه الله خصوصيَّة في طريقة التفسير في هذا الكتاب، وكانت كما ذكرها رحمه الله «نموذج دراسة محقَّقة»، واعتنى في هذا الكتاب بالدراسة التفصيلية عناية فائقة، وقد أوضح رحمه الله عن منهجه هذا بقوله: «وإنَّ ممَّا يجب الاعتناء به: بحث ما يواجه الغائص في مصادر التفسير بالمأثور من اختلاف الأقوال وتنوُّعها، ثمَّ حلِّ ما يلقاه في مصادر التفسير بالرأي الجائز من اختلاف وجهاتها، وسبيل ذلك التزام أصول التفسير، والتمكُّن من الفنون التي يحتاجها المفسِّر، والنظر إلى مقصود الآية وصلته بالهدف العامِّ الذي جاءت لأجله الفقرة التي فيها الآية، ثمَّ مراعاة التناسق بين فقرات تفسير الآية، وتآلف بعضها مع بعض».[2]

فالعمق الذي ضمَّنه رحمه الله في هذا التأليف أكثر، والتحليل في العرض أشدُّ تركيزًا في مواضع من الكتاب، ومع ذلك فقد حافظ رحمه الله على خطَّته المنهجية في دراسة التفسير، فيقول رحمه الله: «وقد راعينا في هذه الدراسة الخطَّة التي رسمناها لأنفسنا في التفسير عامَّة، وآيات الأحكام خاصَّة، وأضفنا إلى ذلك مزيد إنعام النظر والتحقيق في مواضع الخلاف، حتَّى يكون فيها نموذج تعليم لطلبة العلم في الدراسات العليا، وتذكرة لأهل الخلاف العلم المتمكِّن، راجيًا الله تعالى حسن القبول ..إلخ».[3]

وأمَّا العناوين التي اعتنى بها في كتابه هذا فهي: ١ - مناسبة الآيات لما قبلها، ٢

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١.

٢ أحكام القرآن في تفسير سورة النساء، ١، ٢.

٣ - أحكام القرآن في سورة النساء، ٢.

- سبب النزول، ٣ - المفردات، ٤ -الإعراب، ٥ - القراءات، ٦ - المعنى والأسلوب، ٧ - الاستنباط والفوائد والأحكام».

ولو قارنّاها بخطَّته في الكتابين السابقين سنجد أنَّها لا تختلف عنها، فهي كما قال «راعى خطَّته التي رسمها في التفسير عامَّة وآيات الأحكام خاصَّة»، ولكنَّه في هذه الخطَّة قد يقوم شيخنا الدكتور رحمه الله بدمج بعض العناوين ببعضها كما فعل في دمج الإعراب مع القراءات،[١] وقد يدمج القراءات مع المفردات،[٢] وقد يدمج المفردات مع الإعراب،[٣] ولعلَّ ذلك يعود لتداخل بعضها وعدم الحاجة إلى إفراد كلِّ عنوان، ولكنَّ هذا كما ذكرت سابقًا ليس حالة مطَّردة.

وقد تجد في بعض المواطن لا يذكر القراءات ولا الإعراب[٤] ويكون ذلك إمَّا لعدم وجود قراءة، أو توجد ولكنَّها غير مؤثِّرة في المعنى المستنبط، ومثل ذلك يقال في الإعراب، أي إنَّ اختلاف الإعراب لا يؤثِّر في المعنى المستنبط، ولا يترتَّب عليه خلاف في الاستدلال.

أمَّا البلاغة فإنَّه غالبًا ما يدرجها في المعنى والأسلوب، وقد أفرد لها في مواطن قليلة جدًّا عنوانًا خاصًّا فيها.[٥]

المطلب الثاني: المنهجية العلمية الأكاديمية التفصيلية لمؤلَّفات الدكتور في التفسير التحليلي

وبعد العرض العامّ لمؤلَّفاته الأكاديمية ومنهجه العامّ في التأليف الأكاديمي العلمي في التأليف بالتفسير، نستعرض منهجيَّته الأكاديمية والعلمية في عرض مضمون العناوين.

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٩

٢ أحكام القرآن في سورة النساء، ٤٦، ٥٦.

٣ - أحكام القرآن في سورة النساء، ٩٠، ١١٤.

٤ أحكام القرآن في سورة النساء، ٣٤، ٣٥، ٦٢.

٥ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٠٠، ١٠٤.

أوَّلًا: المناسبات

يقول شيخنا العلَّامة رحمه الله: «علم المناسبات علم دقيق يعتمد على العقلية ذات التفكير الكلِّي؛ أي التي تربط الأشياء ببعضها، وتكشف وجه العلاقة بينها»،[1] وقد قسَّم رحمه الله المناسبات إلى:[2]

١- مناسبة الآيات لبعضها حتَّى ترتبط السورة كاملة، ويدخل فيها تناسب الجمل بعضها مع بعض في الآية.

٢- مناسبة اختتام السورة بافتتاحها وارتباطه به.

٣- مناسبة الفاصلة للآية.

وقد اعتنى رحمه الله في هذا العلم في كتبه الثلاثة عناية تبرز أهمِّيَّته في التفسير التحليلي، وقد ذكر في أثناء تفسيره أنواعًا أخرى من المناسبات فوق التي ذكرها في كتابه «علم المناسبات»، منها مناسبة تسمية السورة، كما فعل في كتابه «أحكام القرآن في تفسير سورة النساء»، حيث أفرد لذلك عنوانًا «مناسبة تسمية السورة»،[3] وهذا النوع من المناسبات يرتبط بكون التسمية للسورة توقيفي، ومدى اتِّصاله بموضوعات السورة وخصائصها، وهو لون إجمالي من معاني السور.

ومن الأنواع التفصيلية التي اعتنى بها شيخنا الإمام رحمه الله ممَّا يدخل في مناسبة الآيات بعضها لبعض: المناسبة العامَّة والمناسبة الخاصَّة، وهذا يكون غالبًا عند انتقال الآيات من موضوع إلى موضوع آخر يظهر للمتدبر عدم ارتباطهما ابتداءً، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١] يقول رحمه الله تحت عنوان «مناسبة الآية»: «وأمَّا المناسبة العامَّة فوجهها أنَّه تعالى أمر بإيتاء اليتامى أموالهم، وفصَّل أحكام أموال اليتامى وما على الأولياء فيه، فبيَّن هنا كيف يملك هذا

١ علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، ٤٣.

٢ علم المناسبات، ٤٤.

٣ أحكام القرآن في سورة النساء، ٤، وأحكام القرآن للسنة الرابعة، ٨٩، في تسمية سورة البقرة عنوان «تسمية السورة ومناسبتها».

اليتيم المال بالإرث تفصيلًا.

وأمَّا المناسبة الخاصَّة فإنَّه سبق إثبات الميراث في آية (للرجال نصيب..) دون تفصيل خصَّصه؛ فذكر هذا الحكم المجمل تفصيله؛ أي تفسيره».[1]

وعندما يبدأ بتفسير آيات الأحكام لسورة فإنَّه يقدِّم لها بمقدِّمة مناسبة لها، يبيِّن مناسبة السورة لما قبلها، وارتباط مواضيع السورة بمواضيع السورة التي قبلها، ومثال ذلك في تفسير سورة المائدة تحت عنوان «مناسبة السورة»، يقول رحمه الله: «أمَّا المناسبة العامَّة: فقد اشتملت سورة النساء على جملة عقود، منها ما هو عقد صريح، مثل عقود الأنكحة، والصداق، والحلف، والمعاهدات، والأمان، ومنها ما هو ضمني، مثل: الوصية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، ونحو ذلك ممَّا يدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأمَّا المناسبة الخاصَّة: فقد ختمت سورة النساء بآيات فيها الاخطاب بالإيمان بالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وآية ميراث الكلالة، وختمت بقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧٦]، فافتتحت المائدة تأمر بالوفاء بالعقود، فكان تقريرًا لمضمون النساء ولخاتمتها، وغير ذلك من أوجه المناسبات، فصَّلها الآلوسي».[2]

فإنَّك تجد تركيزه على المعاني المباشرة والمختصرة والمتَّصلة بمضامين السورتين دون تشتيت الطالب بمعانٍ قد تكون بعيدة، وأحال إلى المرجع لمن أراد التوسُّع.

كما تجد أنَّ مناسبة السورة لما قبلها أيضًا قسمها إلى قسمين: مناسبة عامَّة ومناسبة خاصَّة، وبذلك يمكننا القول إنَّ نوع مناسبة الآيات بعضها لبعض قسمان، وإنَّ مناسبة السورة لما قبلها قسمان: عامٌّ وخاصٌّ.

وهذا نجده أيضًا في ذكر مناسبة سورة الأنفال لما قبلها، أعني سورة الأعراف،

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١١٠.

٢ آيات الأحكام تفسير واستنباط، ٣١٢.

فقد أورد أيضًا لها (مناسبة عامَّة، ومناسبة خاصَّة)،[1] وقل مثل ذلك في تفسير سورة النساء، فإنَّه ذكر مناسبتها لما قبلها سورة آل عمران (مناسبة عامَّة ومناسبة خاصَّة)،[2] ويمكننا إجمال القول بأن المناسبة العامَّة يُراد بها -بحسب منهج الشيخ رحمه الله الذي وجدناه- صلة المواضيع الأساسية والمحاور المهمَّة في السورتين، واستكمال معانيهما، وأمَّا المناسبة الخاصَّة فهي مناسبة خاتمة السورة الأولى لافتتاح السورة التي بعدها وارتباطهما.

أمَّا فيما يتعلَّق بالمناسبة العامَّة والخاصَّة بين الآيات فإنَّ المناسبة العامَّة هنا تعني ارتباط الآية المراد تفسيرها بأحد المحاور المهمَّة والأساسية للسورة، وأمَّا المناسبة الخاصَّة فتعني ارتباط الآية المراد تفسيرها بما قبلها من الآيات أو الآية، وفي ذلك يقول رحمه الله: «ويقسِّم علماء هذا الفنِّ المناسبات إلى قسمين؛ القسم الأوَّل: المناسبة العامَّة، وهي وجه ارتباط الآيات المدروسة أو السورة مع جملة ما قبلها من الآيات السابقة أو السورة السابقة، القسم الثاني: المناسبة الخاصَّة، وهي وجه ارتباط أوَّل الآيات المدروسة أو السورة مع آخر الكلام السابق»[3] ومثال ذلك: في تفسير سورة النساء، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٢]، قال رحمه الله: «المناسبة العامَّة: لمَّا أنَّ سورة النساء مهَّدت بارتباط أباء المجتمع ببعضهم؛ بكونهم من ذكر وأنثى، ثمَّ وسِّعت دائرة النكاح في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]؛ بيَّنت هنا من يحرم نكاحها.

المناسبة الخاصَّة: بعد أن بيَّن الله تعالى في الآيات السابقة أنواعًا من التصرُّفات المحرَّمة مع النساء بيَّن هنا ما يحرم نكاحه منهنَّ، فتمَّ بذلك أنواع ما يحرم من الأمور المتعلِّقة بالنساء».[4]

أمَّا صياغته للمناسبات فإنَّه لا يلتزم بنقل كلام المفسِّرين بحرفيَّته في المعظم

١ أحكام القرآن ، ٥٥٣.

٢ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٠، ١١.

٣ أحكام القرآن السنة الرابعة، ٩٧.

٤ أحكام القرآن في سورة النساء، ٢١٨.

الغالب؛ بل إنَّه يصيغ المناسبة صياغة تتناسب مع اللغة العلمية المناسبة لمستوى طالب الكلِّيَّة، مراعيًا لغة العصر وطبيعة المناهج، ولكنَّه يشير إلى مصدر المناسبة في حاشية الكتاب في موضعه.

ثانيًا: أسباب النزول

وهو «ما نزلت الآية أو الآيات تتحدَّث عنه أيَّام وقوعه»،[١] ونظرًا إلى أهمّيته في الاستعانة به على فهم المعنى المراد من الآية، ووجه الحكمة التي ينطوي عليها التشريع، وإزالة الإشكال من ظاهر النصِّ لمن يقرأ الآية قبل أن يعرف سبب النزول وغير ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول؛[٢] فقد أولى العلَّامة الدكتور لهذا العلم اهتمامًا كبيرًا، وصل إلى استيعاب معظم ما ثبت في الآية المفسَّرة من أسباب النزول، وعنايته به من جملة عنايته بالتفسير بالمأثور، وقد سبق أن ذكرنا أنَّ شيخنا رحمه الله كان يهدف إلى تدريب الطلبة في مثل هذا النوع من المؤلَّفات في التفسير التحليلي إلى كيفيَّة التعامل مع التفسير بالمأثور، ومن ذلك أسباب النزول، ولمَّا كان أسباب النزول من الروايات التوقيفية كما هو معلوم، فإنَّ إيراده لها يكون في دائرة ما يثبت أن للآية سبب نزول، ولذلك فإنَّه رحمه الله كان يعتني بتخريج الرواية؛ بل والحكم عليها أيضًا، ويورد منها ما هو متَّصل بالآية مباشرة، وأصحُّ ما ورد في سبب نزولها، وعند وجود اختلاف في الروايات فإنَّه يجمع بينها استدلالًا بالمعنى العامِّ الذي فيها لا بأعيان الروايات؛ خاصَّة عندما تكون الروايات مرسلة، ومثال ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠١ – ١٠٣]، قال رحمه الله في سبب نزولها: «أسباب نزول الآيات كفرُ اليهود بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، لمَّا دعاهم إلى الإسلام، وكفرهم العهد الذي أُخذ عليهم بأن يؤمنوا به، ثمَّ ادِّعاؤهم أنَّ سليمان عليه السلام كان ساحرًا، فبرَّأه الله من افترائهم على نبيِّه سليمان»،[٣] ثمَّ ساق الروايات الواردة في ذلك عن ابن عبَّاس كما أوردها ابن كثير في تفسيره، وعن شهر بن حوشب كما عند ابن جرير، وعن أبي العالية

١ علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ٤٦.

٢ انظر علوم القرآن الكريم، ٤٧، ٤٨، في بيان ذلك.

٣ أحكام القرآن السنة الرابعة، ١٣٠.

كما عند ابن أبي حاتم؛ إذ كلُّ رواية تدلُّ على طرف من القصَّة، فجمع شيخنا بين الروايات كلِّها؛ إذ لا تعارض.

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٣- ١٤٥]، فقد أورد الروايات في سبب نزولها منها ما هو في صحيح البخاري ومسلم، ومنها ما هو في التفاسير المسندة، ومع تعدُّدها قال رحمه الله: «وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر أنَّه قد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أُمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكَّة يصلِّي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلمَّا هاجر إلى المدينة تعذَّر الجمع بينهما، فأمره الله بالتوجُّه إلى بيت المقدس، فاستمرَّ على ذلك بضعة عشر شهرًا، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجَّه إلى الكعبة، ..فأجيب إلى ذلك، وأُمِر بالتوجُّه إلى البيت العتيق...».[1]

والمسلك العلمي الذي يتعلَّمه المتلقِّي من هذه المنهجية هو الجمع بين الروايات حيث لا تعارض، وأنَّ الرواية الضعيفة التي لم يشتدَّ ضعفها يمكن اعتبارها في التفسير تكميلًا في وضوح القصَّة مع وجود أصل الرواية في الصحيح.

ولكنَّنا نجد الأستاذ الدكتور رحمه الله يربط أسباب النزول بعلوم القرآن، ويكون الحديث عن الروايات والجمع بينها أكثر تركيزًا في المعنى في الدراسات العليا، ولنأخذ نموذجًا واحدًا لذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ [النساء: ١٩]، فقد صدَّر أصحَّ ما ورد في سبب نزولها، وهو حديث ابن عبَّاس الذي أخرجه البخاري وأبو داود مرفوعًا: (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقُّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوَّجها، وإن شاؤوا زوَّجوها، وإن شاؤوا لم يزوِّجوها، فهم أحقُّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك)، ثمَّ ذكر رواية لأبي داود: (أنَّ الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته، فيعضلها حتَّى تموت أو تردَّ له صداقها، فأحكم الله عن ذلك)، قال الدكتور رحمه الله: «أي نهى عن ذلك»، ثمَّ ذكر الشيخ رحمه الله باقي الروايات، فقال: «وأخرجه ابن جرير عن ابن عبَّاس

١ أحكام القرآن السنة الرابعة، ١٩٤.

وذكر الآية، قال: (كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمة ثوبه فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوَّجها، وإن كانت دميمة حبسها حتَّى تموت فيرثها)، والروايات بهذا المعنى كثيرة عن غير ابن عبَّاس وعن التابعين، قال زيد بن أسلم: (كان أهل يثرب إذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله، وكان يعضلها حتَّى يرثها، أو يزوِّجها من أراد، وكان أهل تهامة يسيء الرجل صحبة المرأة حتَّى يطلقها ويشترط عليها ألَّا تنكح إلَّا من أراد، حتَّى تفتدي منه ببعض ما أعطاها، فنهى الله المؤمنين عن ذلك)، رواه ابن أبي حاتم.

عن أبي أمامة بن سهيل بن حنيف قال: (لمَّا توفِّي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوَّج امرأته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ [النساء: ١٩]، رواه ابن مردويه، وأخرجه ابن درير من طريق آخر بنحوه.

هذه الروايات وإن اختلفت لكنَّها لا تعارض بعضها، ولا مانع أنَّها كلَّها سبب نزول الآية، والرواية الأخيرة كذلك لا مانع أنَّها سبب نزول هذه الآية، وآية ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وتكون الروايات الأولى من باب تعدُّد السبب والقول واحد، والأخيرة من تعدُّد النازل للسبب الواحد..».[١]

والحقيقة فإنَّ المتتبِّع لأسلوب الدكتور نور الدين عتر رحمه الله في التعامل مع أسباب النزول سيجد فوائد عظيمة في طريقة التعامل من الروايات في التفسير، وأوَّلها أسباب النزول، فهو يورد أوَّلًا أصحَّ الروايات في أسباب النزول، ثمَّ يتدرج في عرض الروايات حسب منزلتها ومكانتها في الصحَّة والثبوت، مع مراعاة تقديم المرفوع الصريح على الموقوف الذي له حكم الرفع، والأخير على المقطوع المرسل الذي له حكم الرفع، أعني روايات التابعي في أسباب النزول، ثمَّ يستعرض ما يستفاد من هذه الروايات بما يوظِّفه في معرفة واقع الحال عند نزول الآية أو الآيات، ويسلك مسلك الجمع، فإن كان بين الروايات تعارض لا يمكن الجمع بينها

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٩٢، ١٩٣.

قام بالترجيح.[1]

وهذه مهارة يتعلَّمها الطالب في البكالوريوس ثمَّ الدراسات العليا، وتزيل عن فكر الطالب الشبهات التي تعرَّض لها في بداية طلب العلم، ثمَّ يتدرَّج به حتَّى الدراسات العليا، فيتعلَّم من خلالها مهارة الجمع بين الروايات أو الترجيح عند تعذُّر الجمع.

ثالثًا: المفردات والإعراب والقراءات

جمعت الثلاثة في فقرة واحدة لارتباط الثلاثة ببعضها، وهكذا كان يفعل الشيخ رحمه الله في كتبه بإدخال القراءات مع الإعراب أو المفردات مع الإعراب، أو القراءات مع المفردات، ويفصل بينها.

أمَّا عنايته بالمفردات فإنَّ من المنهجية المتميِّزة للعلَّامة الدكتور نور الدين اعتناؤه الشديد بالتحليل اللغوي، واستثمار ذلك في بيان القرآن الكريم والاستدلال، سواء في مؤلَّفاته التحليلية أو بشرحه الدرسي، وأذكر ذلك تمامًا من خلال محاضراته في مرحلة الماجستير في مقرَّر التفسير التحليلي، فقد كان يبدأ ببيان الأصل الوضعي للكلمة ثمَّ تطوُّرها الدلالي واستخدام القرآن الكريم لها، وكان يوجِّهنا إلى العناية بالتحليل اللغوي، وخاصَّة عند الردود على العصرانيين والحداثيين من خلال التفكيك اللغوي لتفسيراتهم المنحرفة.

وهذه العناية بالتحليل اللغوي ظاهرة في كتبه التي ألَّفها في التفسير، ولكنَّك قد تجد مستواها في تفسير سورة النساء لطلَّاب الدراسات العليا في بعض المواطن أكثر تفصيلًا منها في تفسير أحكام القرآن وآيات الأحكام لمرحلة البكالوريوس، ولنضرب مثالًا على ذلك من خلال نموذج لتفسير مفردات من مقاطع متطابقة في المرحلتين.

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ

١ انظر أحكام القرآن في سورة النساء، ١١١ – ١١٤. فهي مثال مباشر لما ذكرته.

كَرْهَـاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُـنَّ لِتَذْهَبُـواْ بِبَعْـضِ مَـآ ءَاتَيْتُمُوهُـنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِـينَ بِفَـٰحِشَـةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]، فيقول الشيخ رحمه الله في معنى (ولا تعضلوهن): «عضل يعضل بالضمّ في المضارع والكسر بمعنى: الحبس، حكى الخليل: دجاجة معضلٌ: قد احتبس بيضها؛ أي اعترض فلم يسهل خروجه، وقيل: العضل التضييق والمنع، وهو راجع إلى معنى الحبس، يقال: أردت أمرًا فعضلتني عنه، أي منعتني عنه، وضيَّقت عليَّ».[١]

ولكن يذكر الدكتور رحمه الله في كتاب آيات الأحكام في معنى «كرهًا»: «بفتح الكاف قرأ من عدا حمزة والنسائي، فإنَّهما قرأا بضمّ الكاف «كُرهًا»، قال الأكثر: هما لغتان بمعنى واحد، هو الكراهية والإكراه، وقال ابن قتيبة والفرَّاء: الكَره بالفتح: الإكراه، وبالضمّ المشقَّة، فما أُكره عليه الإنسان فهو كَرهٌ بالفتح، وما كان من قبل نفسه فهو كُره بالضمّ، ويقوّي القولَ الأوَّلَ ورودُ القراءتين على الكلمة في الآية الواحدة وفي أكثر من موضع».[٢]

أمَّا في كتابه أحكام القرآن في سورة النساء فيقول: «(كرهًا): بفتح الكاف قرأ من عدا حمزة والنسائي، فإنَّهما قرأا بضمّ الكاف «كُرهًا»، وكذا الاختلاف في التوبة ﴿قُـلْ أَنفِقُـواْ طَـوْعًا أَوْ كَرْهًـا﴾ [التوبة: ٥٣]، والأحقاف: ﴿حَمَلَتْـهُ أُمُّهُۥ كُرْهًـا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًـا﴾ [الأحقاف: ١٥]، لكنَّ عاصمًا وابن عامر قرأا بالضمّ في الأحقاف، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالفتح في جميع ذلك، قال الأكثر: هما لغتان بمعنى واحد، هو الكراهية والإكراه، وقال ابن قتيبة والفرَّاء: الكَره بالفتح: الإكراه، وبالضمّ المشقَّة، فما أُكره عليه الإنسان فهو كَرهٌ بالفتح، وما كان من قبل نفسه فهو كُره بالضمّ، ويقوّي القولَ الأوَّل ورودُ القراءتين على الكلمة في الآية الواحدة وفي أكثر من موضع».[٣]

نجد الدكتور رحمه الله في هذا المثال يتوسَّع في كتاب الدراسات العليا في ذكر القراءات للمفردة، مع ارتباط ذلك بمعناها، وتطابق الشرح بعد ذلك والترجيح في الكتابين؛ لأنَّ مهارة المقارنة وإدراك المعنى المرتبط بها في مرحلة الدراسات

١ آيات الأحكام، ١٦٣، ١٦٤، أحكام القرآن في تفسير سورة النساء، ١٩٣.

٢ آيات الأحكام، ١٦٣.

٣ أحكام القرآن في تفسير سورة النساء، ١٩٣.

العليا تكون أقوى منها في مرحلة البكالوريوس، ولذلك يركِّز في البكالوريوس على الفارق في المعنى بين القراءتين.

ولو انتقلنا إلى نموذج آخر في تفسير الآية ١١ من سورة النساء، قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١]؛ إذ يدمج الشيخ الإعراب مع معاني المفردات، ويهتمُّ فيها بتفصيل الإعراب أكثر من معاني المفردات؛ لأنَّ معظم المفردات في هذه الآية مفهومة الدلالة، ولكنَّ الإعراب يوضِّح الربط من خلال بيان الضمائر ومعاني الحروف والمتعلِّقات ..إلخ، فيقول الدكتور رحمه الله: «يوصيكم: يأمركم، والجملة مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب. للذكر مثل حظِّ الأنثيين: جملة مستأنفة مسوقة لتبيين الوصية، وقيل محلُّها النصب مفعولًا ليوصيكم على تفسيره بمعنى يفرض عليكم، وفي الكلام ضمير محذوف عائد على الأولاد تقديره للذكر منهم، حذف ثقة بوضوحه، و(مثل): صفة لمبتدأ محذوف تقديره «حظٌّ مثل»، والذكر متعلِّق بمحذوف خبر مقدَّم.

فإن كنَّ: أي الأولاد، واستعمل الضمير لهم مؤنَّثًا «كنَّ» مراعاة للخبر وهو «نساء» وقيل: كنَّ المتروكات؛ لكن لم يسبق لهنَّ ذكر، والفاء تفريعية.....»»،[1] وهكذا يستمرُّ رحمه الله إلى أن يقول: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا﴾ [النساء: ١١]: بدل من أبويه، بإعادة الجار، كذا أعربه جمهور المفسِّرين والمعربين وفي مقدِّمتهم الزمخشري»»،[2] فيزيد في كتابه أحكام القرآن في سورة النساء للدراسات العليا، فيقول: «وانتقده ابن المنير السكندري بما يطول شرحه، واختار أنَّ المبتدأ محذوف، والتقدير: ولأبويه الثلث، ثمَّ بعدما أجمل فصَّل؛ فقال: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾، وساغ حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه، وجملة ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ خبر مقدَّم ومبتدأ لا محلَّ لها».[3]

هذا التفصيل والمناقشة الإعرابية البيانية نجدها في مقرَّر الدراسات العليا فقط؛

١ أحكام القرآن، ١١٢، أحكام القرآن في سورة النساء، ١١٤.

٢ أحكام القرآن، ١١٣.

٣ أحكام القرآن في سورة النساء، ١١٥.

لأنَّ الدراسة المقارنة للدراسات العليا مطلوبة في مراعاة الإعراب، وهل له أثر على التفسير، بينما يصعب ذلك على طلَّاب الجامعة.

ولعلَّ الأمثلة السابقة ألقت الضوء على المراد من طريقة الشيخ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله، وهذه المنهجية قد تزداد تفصيلًا في مواضع، وبالعكس في مواضع أخرى، ويكون اعتبار الطول والقصر لأهمِّيَّة التفصيل في شرح المعنى أو الاكتفاء بما يدلُّ على المراد.

رابعًا: المعنى والأسلوب

وهو مبني على ما سبق من المناسبات والمفردات والقراءات والإعراب إضافة لأسباب النزول إن وُجد، إضافة إلى تجلية المعاني البلاغية وبراعة الأسلوب؛ إذ يبدأ الشيخ رحمه الله أوَّلًا بربط الآية بما قبلها على ضوء المناسبة، تمهيدًا للدخول إلى المعنى، ثمَّ يقسم الآية إلى فقرات أو فواصل، يشرحها بطريقة بلاغية مجلِّيًا لإعجازها ومستثمرًا لواقع نزولها، وقد يتعرَّض للخلاف في التفسير مع الترجيح، ولنضرب مثالًا على ذلك في بيان المعنى والأسلوب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] قال رحمه الله:

«بعدما بيَّنت الآيات السابقة أمورًا محرَّمة تتعلَّق بالنساء؛ أخذت تبيِّن هنا أمرًا آخرَ عظيمًا، هو إبطال ما كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو نكاح الابن امرأة أبيه التي ليست أمَّه، وجاء ذلك في طليعة المحرَّمات من النكاح، وكان من حكمة إعجاز القرآن أن يخصَّ هذا المحرَّم بالنهي، ويذكره في هذه الآية مفردًا بم يذكر في ضمن المحرَّمات الآتية، وذلك مبالغة في الزجر عنه، لما أنَّهم كانوا مصرِّين على تعاطيه.... قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾، فخاطب المسلمين جميعًا ينهاهم عن هذا النكاح، وعبَّر بقوله (ما نكح) ليشمل كلَّ امرأة حصل فيها ذلك، وأمَّا تفسير (ما) بمعنى المصدرية الذي اختاره الطبري، وتفسير الآية على معنى: لا تنكحوا نكاح آبائكم الفاسد، وأنَّها إبطال الأنكحة الجاهلية الفاسدة؛ فليس بوجيه كما قال الآلوسي، والأوَّل -وهو اسم الموصول- أصحُّ.

استدلَّ الطبري بلفظ (ما)، ولو كان معناه لا تنكحوا النساء اللاتي نكح آباؤكم لوجب أن يكون موضوع (ما) (من).

وممَّا يدلُّ للتفسير المختار:

١ – أنَّ الصحابة تلقَّت الآية على ذلك المعنى، ومنه استدلَّت على منع نكاح الأبناء حلائل الآباء.

٢ – روايات أسباب النزول، وقد تعدَّدت ممَّا يقوِّيها، كيف ومنها في صحيح البخاري.

٣ – إنَّ هذا التفسير يلزم منه تحريم كلِّ نكاح كان في الجاهلية ولو كان مشروعًا، وذلك يوجب أن تكون هذه الآية مخصوصة أو منسوخة، وإبعاد النصِّ عنها أولى.

٤ – إنه يوجب في الآية تقديمًا وتأخيرًا؛ لأنَّ أصل عبارة الآية على تفسيره: ولا تنكحوا من النساء من نكح آباؤكم، وهو خلاف الأصل، كما أنَّه لا يظهر لـ (من) موقعها كما هو عند الجمهور».[1]

والنصُّ المنقول هنا من تفسير سورة النساء للدارسات العليا، وفيه شرح وتفصيل أكثر ممَّا في كتاب الجامعة، خاصَّة فيما يتعلَّق بأسلوب اختصاص هذا المحرَّم بآية مفردة دون تضمينها بالآية السابقة، وهذا يؤكِّد ما قلته سابقًا من أنَّه رحمه الله يتوسَّع في الشرح والبيان لقضايا تفصيلية في منهاج الدراسات العليا أكثر منها في كتاب الجامعة.

كما أنَّ هذا المثال الذي ذكرناه يبيِّن منهج النقد التفسيري لدى الدكتور رحمه الله، وهذا مهمٌّ في بناء المنهجية النقدية لدى طالب العلم؛ لأنَّ ركائز النقد التي اعتمد عليه شيخنا الدكتور هي: أوَّلًا: المأثور وذلك في اعتماد أسباب النزول الواردة في الآية، خاصَّة الصحيح منها، وثانيًا: معاني الحروف، وثالثًا: أسلوب النظم والقواعد المحكمة في الترجيح كاعتبار الأصل في الكلام من عدم وجود التقديم والتأخير

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ٢٢٢، ٢٢٣، أحكام القرآن، ١٨٥.

بلا سبب؛ إذ التقديم والتأخير بلا سبب كتكلُّف التقدير مع سلامة النظم دون تقدير، وكذلك أنَّ الأصل في الآية أنَّها محكمة عامَّة غير مخصَّصة ولا منسوخة، إلَّا أن يكون ثمَّة دليل يدلُّ على التخصيص والنسخ، وكلُّ بيان للآية يؤدِّي إلى التخصيص أو النسخ دون دليل نقلي فهو غير مقبول.

خامسًا: الاستنباط

يمثِّل الاستنباط ثمرة ما تمَّ تحليله من قبل، من المفردات ودلالتها والقرائن المحتفة بها من أسباب النزول والمناسبات، إضافة إلى تقييدات السياق وما تضمَّنه الأسلوب من توجيه الدلالة، وأثر اختلاف القراءات؛ وبناء عليه فإنَّ طريقة الاستنباط من النصِّ القرآني عند الدكتور نور الدين عتر رحمه الله يتدرَّج بها على ثلاث مراحل عامَّة، وهي منهجه العامُّ في التدرُّج التعليمي للطالب في أثناء تدريسه، وهي المنهجية العامَّة أيضًا لطريقة عرض الاستنباط في مؤلَّفاته:

المرحلة الأولى: بيان ما دلَّ عليه ظاهر النصِّ القرآني من أحكام، ويكون هذا البيان على فقرات، كلُّ فقرة تبيِّن أحد الأحكام التي دلَّ عليها النصُّ.

المرحلة الثانية: ذِكر من أخذ بالحكم الظاهر من النصِّ القرآني من الأئمَّة ومن خالفهم، وبيان أدلَّة كلٍّ منهما ووجه الاستدلال.

المرحلة الثالثة: هذه المرحلة تكون بعد بيان الأدلَّة، وتظهر في المناقشة لأدلَّة الفريقين ثمَّ الترجيح.

إنَّ الأثر المترتِّب على هذه المنهجية: أن يتعلَّم الطالب آليَّة الاستنباط، وتطبيقات أصول الفقه والتفسير في فهم النصوص، وما سبب مخالفة بعض الفقهاء لما دلَّ عليه ظاهر النصِّ، وكيف تعامل العلماء مع الأدلَّة وجمعوا بينها ورجَّحوا وفق قواعد أصولية أو فقهية أو تفسيرية، ولنضرب مثالًا على ذلك:

في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١] وتحت عنوان استنباط الفوائد والأحكام يقول رحمه الله:

١- إنَّ الله تعالى أبطل في كتابه ما كان في ميراث الجاهلية، فإنَّهم كانوا يورثون بالنسب؛ لكن يحرمون النساء والصغار، ويرثون بالحلف والتبنّي، فأحقَّ الله الحقَّ وأبطل الباطل؛ أثبت التوارث بالنسب، وشمل به الكبار والصغار والذكور والإناث، وأبطل حرمان النساء والصغار من الميراث، وجعل النكاح موجبًا للميراث وكذلك الولاء؛ وهو صلة البرِّ بين العبد والسيِّد الذي أعتقه، أمَّا الحلف فليس سببًا للميراث عند أكبر الفقهاء، وعدَّه الحنفية من أسباب الإرث، كما سيأتي في آية: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ [النساء: ٣٣].

ومن نعمة الله أيضًا أنَّه بيَّن حصص المستحقّين للميراث بيانًا شافيًا معجزًا في محكم كتابه العزيز.

٢- إنَّ تقسيم المال الذي يتركه الميّت على الورثة فرضٌ يجب تنفيذه لقوله ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقوله بعد: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾

٣ – اعتناء القرآن بحقّ المرأة في الميراث؛ لأنَّه جعل استحقاقها أصلًا يبنى عليه نصيب الذكر: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾، فنصَّ على حقِّ الأنثى صراحةً، وجعل حقَّ الذكر يُفهم من ذكر حقِّ الأنثى.[١]

سأتوقَّف عند هذه الثلاثة ابتداء لبيان أهمِّيَّة الاستنباط والفوائد فيها، ثمَّ أنتقل إلى الاستنباط الرابع لأنَّه مطوَّل.

ففي هذه البنود الثلاثة نجد بيان الأحكام دون تفصيل لمذاهب العلماء؛ لأنَّها أحكام لا خلاف فيها، ولا قرائن صارفة لها عن دلالة ظاهر النصِّ، وقد بنى الدكتور رحمه الله استنباط هذه الفوائد التفسيرية والأحكام على ما سبق في أسباب النزول، وما سبق في بيان المعنى والأسلوب، ثمَّ إنَّ هذه البنود الثلاثة فيها من الفوائد التفسيرية الدقيقة ما ينبغي التوقُّف عنده بالإعجاب، خاصَّة البند الثالث؛ إذ فيه بيان أسلوب القرآن بالتأكيد على حقِّ المرأة، وإبطال عادات الجاهلية في ظلم المرأة، فبعدما كانت المرأة في هامش المجتمع؛ صارت بنصِّ القرآن في توزيع الحقوق

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٢٣.

أصلًا يبنى على حقِّها حقوق الرجل، وهذا من بديع الاستنباطات التفسيرية.

ثمَّ نكمل في الاستنباط الرابع وسأقتصر عليه فقط؛ لأنَّه يوضِّح لنا منهجه في العرض الأكاديمي والمناقشة العلمية ويبيّن منهجيَّته العلمية أيضًا، وأمَّا باقي فقرات الاستنباط فيرجع لها لطولها:[١]

يقول رحمه الله في الفقرة الرابعة من استنباط الفوائد والأحكام على الآية ١١ من سورة النساء:

٤ – إن ميراث الأولاد كما يأتي:

أ- أن يكون للميِّت أولاد ذكور وإناث؛ فيرثون المال «للذكر مثل حظِّ الأنثيين»؛ أي ضعف نصيب الأنثى.

ب- أن يكون للميِّت ثلاث بنات فأكثر، ليس معهن أخ ذكر «فلهنَّ الثلثان».

ت- أن يكون للميِّت بنت واحدة ليس معها أخ ذكر «فلها نصف» التركة.

ث- أن يكون للميِّت بنتان فقط، ليس معهما أخ ذكر، وهذه الصورة لم يذكر حكمها صراحة، وإنَّما ورد الحكم بلفظ: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء:١١]؛ فكم نصيب البنتين إذا انفردتا؟ اختلف العلماء في ذلك:

وقد ذهب جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أنَّ البنتين تستحقَّان الثلثين كالبنات الثلاث، واستدلُّوا على ذلك بأدلَّة منها:

١- إنَّ الله تعالى بيَّن أنَّ حظَّ الابن الذكر مثل حظِّ البنتين إذا كان معه أخت، وهو الثلثان، فدلَّ ذلك على أنَّ حظَّ البنتين الثلثان، ولمَّا كان هذا يوهم أن يزاد النصيب بزيادة عدد البنات ردَّ ذلك بقوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء:١١].

٢- إنَّ البنت الواحدة لمَّا استحقَّت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق،

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٢٣ – ١٣٢.

فإن استحقاقها مع مثلها أولى وأحرى.

٣- إنَّ الله تعالى قال في الأختين: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١١]، والبنتان ألصق رحمًا من الأختين، فأولى أن يكون حظُّ البنتين الثلثين.

٤- إنَّه ثبت في الحديث عن ابن مسعود أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قضى في بنت وبنت ابن وأخت بالسدس لبنت الابن، والنصف للبنت تكملة للثلثين، فجعل لبنت الابن مع البنت الثلثين، فمن باب أولى أن يكون للبنتين الثلثان.

٥- ما سبق في أسباب نزول الآية.

وخالف الحبر عبد الله بن عبَّاس في هذه المسألة؛ فجعل حصَّة البنتين النصف مثل حصَّة البنت الواحدة؛ أخذًا بقوله تعالى: ﴿نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ ووجَّه استدلاله بالآية: أنَّ الله تعالى جعل لأكثر من اثنتين الثلثين، قال ابن عبَّاس: فلا أعطي البنتين الثلثين، قال القرطبي في توجيه الآية: (وهذا شرط وجزاء).

واعتمد القرطبي في الاستدلال لجمهور الصحابة على حديث سبب النزول، وانتقد ادِّعاء الإجماع بمخالفة ابن عبَّاس.

واعترض على الاستدلال بميراث الأختين: (بأنَّ ذلك منصوص عليه في الأخوات والإجماع منعقد عليه، فهو مسلَّم بذلك).

واعترض على الاستدلال بتوريث البنت الثلث مع أخيها، بما نقله عن النحَّاس قال: (وهذا الاحتجاج عند أهل النظر غلط؛ لأنَّ الاختلاف في البنتين وليس في الواحدة، فيقول مخالفه: إذا ترك بنتين وابنًا فللبنتين النصف، فهذا دليل على أنَّ هذا فرضهم).

ونجيب عن هذه الاعتراضات بما يأتي:

١- إنَّ الإجماع قد تمَّ بعد الصحابة، ولم يقل أحد بقول ابن عبَّاس من أئمَّة المذاهب المعتمدة.

٢- إنَّ ميراث الأختين يدلُّ بالأولى على ميراث البنتين، وليس هو حكمًا شاذًّا عن القياس بعدما تقرَّر اعتبار الشرع الأقربية في استحقاق الميراث.

٣- وأمَّا حصَّة البنتين مع الابن فالاستدلال بها غير وارد؛ لأنَّ استحقاقهما النصف إنَّما كان مع الابن، والموضوع هو حصَّتهما عند عدمه، فلا يصحُّ الاستدلال بها، ويظلُّ اعتبار حصَّتها مع الابن أولى.

وقد أجيب عن هذا الاستدلال بأنَّ المراد اثنتان فما فوق، وقيل: إن (فوق) زائدة؛ أي: كنَّ نساء اثنتين، وكلاهما معترض بأنَّه خلاف الظاهر.

والأولى القول بأن الآية ساكتة عن البنتين، وعبَّر بـ (فوق اثنتين) لإفادة أنَّ هذه الحصَّة لا تزيد مهما زاد العدد، وتركت بيان حصَّة البنتين لما بين الأختين ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] التي دلَّت على ميراث البنتين بدلالة النصِّ التي هي باب الأولى، كما دلَّت على أنَّ ميراث الأخوات الكثيرات لا يزيد على الثلثين من باب الأولى أيضًا؛ لما أنَّ البنات الكثيرات لم يزد حظُّهن على الثلثين، وهذا من إحكام البيان القرآني وإيجاز البليغ».[١]

فتلاحظ في هذا المثال كيف بدأ بتحليل إحدى دلالات الآية فيما يتعلَّق بأنصبة الوارثين من الأولاد؛ إذ قسَّمها إلى فقرات، فسبر حالاتها في الآية ليحصر موضع الخلاف، وجعل الحالة موضع الخلاف في فقرة وحدها، واعتبر أنَّ البنتين إن انفردتا بالتركة فحالتها مسكوت عنها يستدلُّ لها بالقرائن القويَّة المحتفة بالآية نفسها وبالأثر وبالقياس، وذكر مخالفة ابن عبَّاس وأدلَّته، ثمَّ أجاب عنها، وإنَّك تجد أنَّه أجاب مرجِّحًا قول الجمهور، وكانت مسوِّغات الترجيح من استدلالاته رحمه الله، ممَّا يدلُّ على عمق الدراسة وتحرير المسألة.

ونحن نجد التناسب والتناسق العلمي في عرض المعلومات في مؤلَّفاته بشكل دقيق، وكأنَّها حلقات مترابطة متعانقة لا يمكن أن تستغني بعنوان عن عنوان آخر، فاستنباط الفوائد والأحكام يتعلَّق بالمعنى والأسلوب، والأخير يتعلَّق بالقراءات

١ أحكام القرآن في سورة النساء، ١٢٣ – ١٢٦.

والإعراب وشرح المفردات وأسباب النزول والمناسبات، ولن تجد في عنوان ما تعارضًا في معلوماته مع عنوان آخر، كأن يرجِّح معنى في المفردات ويخالف ذلك في المعنى والأسلوب، فهذا غير ممكن أبدًا، وكأنَّ العملية التحليلية عملية تدريجية يراعى فيها التسلسل المنطقي لتوارد المعلومات وترابطها.

وهذه الطريقة هي التي مشى عليها في كتبه الأكاديمية، ولكنَّها تختلف في التوسُّع في المناقشة بحسب المرحلة التعليمية، وعندما تكون الآيات في غير الأحكام فإنَّه يقتصر على الفوائد المستفادة من الآية أو الآيات ممَّا يتعلَّق بموضوعها.

الخاتمة

أوَّلًا: النتائج

١- اشتمل البحث على دراسة الكتب الأكاديميَّة المنهجيَّة في التفسير التحليلي.

٢- طريقة التأليف الأكاديمي العلمي للعلَّامة رحمه الله في التفسير التحليلي كانت تتبع الفقرات الآتية: «المناسبات، أسباب النزول، المفردات، الإعراب، القراءات، المعنى والأسلوب، استنباط الفوائد والأحكام».

٣- كانت بعض الفقرات تدخل في بعض؛ مثل دخول الإعراب في المفردات، أو القراءات في المفردات؛ إمَّا لقلَّة المادَّة العلمية أو لأنَّ الكلمات المرادة قليلة.

٤- المنهجية العلمية في صياغة التفسير كانت تراعي اللغة العصرية ولكنَّها متينة السبك، مع المحافظة على المصطلحات العلمية ومستندة إلى علم التفسير وأصول التفسير.

٥- طريقته في استنباط الفوائد والأحكام كانت على مراحل؛ أوَّلًا: بيان ما دلَّ عليه ظاهر النصِّ، ثانيًا بيان من أخذ بما دلَّ عليه ظاهر النصِّ، ثالثًا: ذكر من خالف مع دليله في سبب المخالفة، رابعًا: المناقشة والترجيح.

٦- كان الشيخ يطبِّق القواعد العلمية في طريقة الاستنباط؛ لأنَّه يهدف إلى بناء

الملكة العلمية التفسيرية في ذهن الطالب.

٧- انتهج الشيخ في تأليف التفسير التحليلي مسلكًا قاسيًا ودقيقًا من خلال الرجوع إلى مصادر المعلومات الأساسيَّة، وليس إلى المراجع المتأخِّرة، وراعى تناسق المعلومات في الفقرات بدقَّة علمية عالية.

٨- من أهمِّ مقاصد العلَّامة رحمه الله في منهجيَّته السابقة بناء الملكة العلمية في طالب الجامعة، وربطه بأصول العلوم، كأصول الفقه، وأصول التفسير، وتعليمهم أساسيَّات استنباط العلماء للأحكام من القرآن.

ثانيًا: التوصيات

دراسة منهج العلَّامة المفسِّر المحدِّث نور الدين عتر في التفسير في مؤلَّفاته المتعلِّقة بالقرآن الكريم دراسة تفصيلية، وهذه تصلح رسالة ماجستير أو دكتوراه.

وكذلك دراسة آراء الدكتور نور الدين عتر رحمه الله في علوم القرآن.

المصادر والمراجع

- **أحكام القرآن في سورة النساء**، نور الدين عتر، طباعة المؤلِّف، ٢٠٠٤.
- **إعلام الأنام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نور الدين عتر، دار المنهاج القويم، ط١، ٢٠١٩.
- **آيات الأحكام: تفسير واستنباط**، نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، ط٣، ٢٠٠٤.
- **التفسير: أحكام القرآن «وفق مقرَّر التفسير للسنة الرابعة في كلِّيَّة الشريعة»**، نور الدين عتر، منشورات جامعة دمشق، ط٥، ١٩٩٥.
- **ثبت أسانيد العلَّامة المحدِّث الدكتور نور الدين عتر**، عمر موفَّق النشوقاتي، محمَّد عيد منصور، الصديق للعلوم، دمشق، ط١، ٢٠١٥م.
- **شذا العطر في ذكر مواقف مع شيخنا الدكتور نور الدين عتر رحمه الله**، مرهف سقا على الرابط: https://islamsyria.com/site/show_cvs/1412
- **علم المناسبات وأهمِّيَّته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه**، نور الدين عتر، دار الغوثاني، دمشق، ط٢، ٢٠١٦.
- **علوم القرآن الكريم**، نور الدين عتر، دار البصائر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢.
- **موقع رابطة العلماء السوريين**: https://islamsyria.com/site/show_cvs/1389
- **موقع نسيم الشام** على الرابط: https://naseemalsham.com/persons/sh_nour_ater